

تسليية المصاب

بفقد الأحاب

خطبة جمعة أفاها

أبو عبدالرحمن مرشاد بن أحمد الضالعي

وفقه الله وهداه وسداه

كانت هذه الخطبة في دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالعي

بنا مريخ ٢٠ شوال ١٤٤١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة،

وكل ضلالة في النار.

أيها الناس يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ

مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

(١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿

في هذه الآيات العظيمة يخبر الله سبحانه وتعالى عن أمر قدره، وقضاه،

وأراد سبحانه بإرادته الكونية أن يكون واقعا في هذه الحياة، وكل ذلك

لمصلحة العباد، وصلاحهم، وما فيه نفعهم، فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي:

لنختبرنكم ولنمتحننكم في هذه الحياة الدنيا، ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ

وَالْجُوعِ﴾ ولم يقل الله سبحانه: بالخوف والجوع، فإنه لو سُلِّطَ عليهم

الخوف والجوع لهلكوا، ولكن الله تعالى يبتليهم بشيء من ذلك؛ ليرجعوا

إليه، وليضاعف لهم الحسنات، ويكفر عنهم السيئات ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ

مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ﴾ هذه

خمسة أمور أخبر الله تعالى أنه يبتلي بها عباده: ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾: إمَّا

من أعداء، وإمّا بعدم استقرار وَضْع، وباضطراب حال، فلا يأمن الإنسان على حاله، ولا ماله، ﴿وَالْجُوع﴾: وذلك بِقِلَّةِ الطعام أو انعدامه، أو بارتفاع أسعاره وغلائها، بحيث لا يتمكن الإنسان من توفير ما يحتاجه من ذلك، حتى إن هذه الأمور وهي الخوف والجوع تظهر على الناس، وتبيّن آثارها على أنفسهم وحياتهم، ولذا سماها الله تعالى في آية أخرى لباساً ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ لأن آثارها تظهر على العبد ولا تخفى. ﴿وَنَقَصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾: أي قِلَّة فيها، ﴿وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ﴾: أي نقص في الأنفس بموتها، فيحصل فراق للأحباب والأصحاب والأقارب، ونقص من الثمرات أيضاً: بأن لا تنبت المزارع والبساتين، كل هذا من البلاء الذي يصيب العباد، قال الله سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ إذا نزلت هذه الابتلاءات فبشر الصابرين، أي أعلمهم، وأخبرهم بما يسرهم، وبما يفرحون به، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ الذين إذا نزلت بهم هذه المصائب وغيرها استرجعوا، وردوا الأمر إلى الله، وتأمل هذه الكلمة ما أعظمها

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: نحن ملك له، ونحن في قبضته وتصرفه، والله يتصرف في ملكه بما يشاء، فليست هذه الأموال بملك لنا ملكاً مطلقاً، ولا هؤلاء الأولاد، ولا هؤلاء الأقارب، ولا هذه البلدان والأوطان، بملك لنا ملكاً مطلقاً، بل ليست أنفسنا بملك لنا ملكاً مطلقاً، ولكنَّ الجميع ملك لله، فكلُّنا لله يتصرف الله فينا بما شاء، ولذا تأمَّل في قصة المرأة العاقلة أم سليم رضي الله عنها لما مات ولدها الصغير خرج أبوه وهو حيٌّ فلم يرجع إلا وقد مات، فأرادت أن تُعَلِّمَه فقالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أنَّ قوماً أعاروا أهل بيت عارية، أي: أعطوهم شيئاً يستخدمونه ثم يردونه، على سبيل الإعارة، ثم سألوا عاريتهم، هل لأهل ذلك البيت أن يمنعوا هذه العارية؟ قال: لا، كيف يمنعون عارية أعاروهم إياها، قالت: إن الله أعارك ولدًا وإن الله قد أخذ عاريتَه، أعارك الله هذا الابن وقد أخذَه الله جل وعلا، فكما أن أهل البيت لا يَحِقُّ لهم أن يمنعوا عارية أعارهم إياها قوم، فكذلك رب العالمين أعارك هذه العارية التي هي هذا الولد، ثم أخذَه، فاحتسب ذلك عند الله، فأنت أيها المسلم ملك لله، وما معك هو عارية أعارك الله إياه.

﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي نحن راجعون إليه ونجتمع عنده، فيلقى الحبيب حبيبه، والصاحب صاحبه، والأخ أخاه، ولولا أن النفوس تُوقن بيوم تجتمع فيه وتتلاقى، وإلا لتقطعت القلوب أسفاً بفراق من تحبه، ولكنها موقنة أنها تلاقيه وتجتمع به في دار أحسن من هذه الدار، ولذا كانت هذه مقالة المؤمنين الذين مدحهم الله عليها فقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وقد جاء في الحديث أن من قال هذه الكلمة عند المصيبة فإن الله يعينه عليها، ويخلفه خيراً من الأمر الذي فاته، ويثيبه في الآخرة الثواب الجزيل، ففي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها، أنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللَّهُمَّ أَجْرِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قالت: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي سنن الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمْرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَعَ [أَي قَالَ إنا لله وإنا إليه راجعون]، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ».

ثم ذكر الله تعالى بعض ثواب الصابرين الذين يقولون هذه الكلمة العظيمة عند حلول المصائب، فقال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ والصلوات جمع صلاة، والصلاة من الله بمعنى الشناء، فصلاة الله على عباده بمعنى: ثناؤه عليهم عند ملائكته، أي أن الله يثني عليهم، ويمدحهم، ويذكرهم بالخير عند ملائكته، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ قال سعيد بن جبیر: أَمَنَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، فالمعنى: عليهم ثناء من الله عند ملائكته، وعليهم أمنة من العذاب، فيرحمهم الله ولا يعذبهم، قال الله أيضاً: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ يهديهم الله جل وعلا في هذه الحياة

الدنيا إلى سلوك الطريق الذي ينفعهم، جاء عن بعض السلف عبد الله بن مطرف بن الشخير أنه قال: والله لو كانت لي الدنيا بما فيها، فأخذها الله مني، ووعدني عليها شربة ماء لرأيت ذلك أهلاً، فكيف وقد وعد الله بالصلاة، وبالرحمة، والهدى ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ الذين يهديهم الله سبحانه في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة .

فالمصائب والابتلاءات في حق من صبر عليها، وردَّ الأمر إلى الله، واحتسب الأجر عنده، تعتبر منحة من الله عز وجل، فيها الفضل العظيم، فيها الدرجات العالية، ولا سيما من أُصيب بمصيبةٍ فارقَ بها من يُحبُّه، فارق بها من يصابه في هذه الحياة، فإن الابتلاء بفقد الأحباب والأولاد من أعظم الابتلاء وأثقل الأنكاد، وهو نارٌ تَسْتَعْرِ في الفؤاد، وحُرقةٌ تُضْرَم في الأكباد، ولهذا كان ثواب الصابر على ذلك جزيلاً، وأجره في ميزانه يوم القيامة ثقيلاً، ولم يرض الله له بجزء سوى الجنة إكراماً منه وتفضيلاً، جاء

في صحيح البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِ جَزَاءٌ، إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الْجَنَّةُ». أي ليس له جزاء يليق به إلا هذا الجزاء، إذا قبضت صفيَّهُ من أهل الدنيا، أي حبيبه وصديقه الذي يصفاه كالأخ، أو الابن، أو الأب، أو الأم، أو الزوج، أو الزوجة، كل من يصفاه الإنسان وكل من يحبه ويتعلق به «مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الْجَنَّةُ». جزاؤه الجنة إذا احتسب ذلك، ورضي به من الله جل وعلا .

وجاء في صحيح مسلم عن أَبِي حَسَّانَ -رجل من التابعين-، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ، فَهَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا تُطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: نَعَمْ «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ -، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ -، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَفِيَّةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي

- حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ». ومعنى دعاميص الجنة أي: الذين يلازمون الجنة ولا يفارقونها، والدعاميص جمع دعموص، وأصل الدعموص دويبة صغيرة تكون في الماء تلازمه ولا تفارقه، أي أن هؤلاء الصغار في الجنة لا يفارقها.

وأخرج النسائي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةٌ أَوْلَادٍ لَمْ يُبْلَغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمُ الْجَنَّةَ»، قَالَ: يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا، فَيُقَالُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ.

فيكرمهم الله بصبرهم على هذه المصيبة، حيث فارقوا هؤلاء الأحاب، بأن يدخلهم الله وإياهم الجنة .

وجاء في مسند الإمام أحمد عن قُرَّةَ بنِ إِيَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُحِبُّهُ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَبَّكَ اللهُ كَمَا أَحْبَبُّهُ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ «مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاتَ،
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِيهِ: «أَمَا نُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ
الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَهُ خَاصَّةٌ أَمْ
لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّكُمْ». وفي رواية للنسائي: «مَا يَسْرُكُ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا
مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ عِنْدَهُ يَسْعَى يَفْتَحُ لَكَ؟».

فمن أصيب بما أخبر الله سبحانه وتعالى به: بنقص من الأنفس، فله الأجر
العظيم، سواءً كان في حرب و قتال، أو كان في بلاء ومرض وأوبئة، كما
يعايشه المسلمون اليوم، فالموتى من كثير من الأماكن، ومن كثير من
البلدان، والبيوت، وقَلَّ بلدٌ إلا وفيه الموتى من آثار هذه الأوبئة
والأمراض، فعلى المسلمين أن يحتسبوا الأجر من الله، وأن يصبروا، وأن
يعلموا أن هذا بابٌ ثوابٍ عظيم، بابٌ من أبواب الجنة فُتِحَ، لمن صبر على
ذلك واحتسب الأجر فيه، جاء في صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله
عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «لَا

يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلَاثَةَ مِنْ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبُهُ، إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ» فَقَالَتْ
امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: «أَوْ اثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَوْ اثْنَيْنِ».

وجاء في بعض الأحاديث أنهم قالوا: وواحد؟ فقال رسول الله ﷺ:
«وواحد» (١).

(١) جاء هذا صريحا في أحاديث ضعيفة:

* منها حديث عائشة رضي الله عنها:

أخرجه أحمد (٣٠٩٨) والترمذي (١٠٦٢) من طريق عبد ربه بن باري الحنفي، قال: سَمِعْتُ
جَدِّي أَبَا أُمِّي سِمَاكَ بْنَ الْوَلِيدِ أَبَا زُمَيْلٍ الْحَنْفِيَّ يُحَدِّثُ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يُحَدِّثُ، أَنَّهُ
سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ لَهُ فَرْطَانِ مِنْ أُمَّتِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِمَا الْجَنَّةَ»،
فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ كَانَ لَهُ فَرْطٌ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «وَمَنْ كَانَ لَهُ فَرْطٌ يَا مَوْفِقَةُ»، قَالَتْ: فَمَنْ لَمْ
يَكُنْ لَهُ فَرْطٌ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «فَأَنَا فَرْطُ أُمَّتِي لَنْ يُصَابُوا بِمِثْلِي». وإسناده فيه ضعف، فعبد ربه
بن باري فيه ضعف، ولذا فقد ضعفه الإمام الترمذي رضي الله عنه بقوله: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ
إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ بَارِقٍ»، وكذلك ضعفه الإمام الألباني رضي الله عنه في ضعيف سنن الترمذي
وغيره.

* ومنها حديث ابن مسعود رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (٣٥٥٤) والترمذي (١٠٦١) من طريق العوام بن حوشب، عن أبي محمد، مولى
عمر بن الخطاب، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ:

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَدَّمَ ثَلَاثَةً لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلْمَ كَانُوا لَهُ حِصْنًا حَصِينًا مِنَ النَّارِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَا اثْنَيْنِ؟ قَالَ: «وَإِنْ كَانَا اثْنَيْنِ» فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدَّمْتُ اثْنَيْنِ، قَالَ: «وَاثْنَيْنِ»، فَقَالَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ سَيِّدُ الْفُرَّاءِ: قَدَّمْتُ وَاحِدًا، قَالَ: «وَوَاحِدًا، وَلَكِنْ إِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى». وإسناده ضعيف، أبو محمد مولى عمر مجهول، تفرّد بالرواية عنه العوام بن حوشب، ولم أر من ذكره بتعديل، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، ولذا فقد ضعف الإمام الترمذي رحمته الله هذا الحديث بقوله عقب إخرجه: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِيهِ».

* ومنها حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه:

أخرجه الطبراني (٢/ ٢٤٥) من طريق ناصح أبي عبد الله الحائك، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَفَنَ ثَلَاثَةً مِنَ الْوَالِدِ فَصَبَرَ عَلَيْهِمْ وَاحْتَسَبَهُمْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، فَقَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: أَوْ اثْنَيْنِ، قَالَ: «وَمَنْ دَفَنَ اثْنَيْنِ فَصَبَرَ عَلَيْهِمَا وَاحْتَسَبَهُمَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، فَقَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: أَوْ وَاحِدَةً؟ قَالَ: فَسَكَتَ أَوْ أَمْسَكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ أَيْمَنَ: «مَنْ دَفَنَ وَاحِدًا فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ كَانَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». وإسناده ضعيف جدا، ناصح أبو عبد الله الحائك متروك شديد الضعف، روى عن سماك بن حرب المنكرات، قال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، عنده عن سماك، عن جابر بن سمرة مسندات في الفضائل كلها منكرات. تهذيب الكمال.

وقال البرذعي: سألت أبا زرعة، عن حديث سماك، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: «من دفن ثلاثة» فلم يقرأه، وقال: هذا باطل. الضعفاء لأبي زرعة (٢/ ٦٩٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (١٢٤٨): «وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الطُّرُقِ مَا يَصْلُحُ لِلْإِحْتِجَاجِ، بَلْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ شَرِيكَ الَّتِي عَلَّقَ الْمُصَنِّفُ إِسْنَادَهَا كَمَا سَيَأْتِي: «وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ». وَرَوَى النَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ مِنْ طَرِيقِ حَنْصِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي قَالَتْ: وَائْتَانِ. قَالَتْ بَعْدَ ذَلِكَ: «يَا لَيْتَنِي قُلْتُ وَوَاحِدٌ». وَرَوَى أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ عَنْ جَابِرٍ رَفَعَهُ: «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثٌ مِنَ الْوَالِدِ فَاحْتَسَبَهُمْ دَخَلَ الْجَنَّةَ» قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَائْتَانِ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ: قُلْتُ لِجَابِرٍ: «أَرَأَيْكُمْ لَوْ قُلْتُمْ وَوَاحِدٌ لَقَالَ وَوَاحِدٌ». قَالَ: وَأَنَا أَظُنُّ ذَلِكَ. وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الثَّلَاثَةُ أَصَحُّ مِنْ تِلْكَ الثَّلَاثَةِ، لَكِنْ رَوَى الْمُصَنِّفُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ كَمَا سَيَأْتِي فِي الرَّقَاقِ مَرْفُوعًا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ». وَهَذَا يَدْخُلُ فِيهِ الْوَاحِدُ فَمَا فَوْقَهُ، وَهُوَ أَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ».

قلت: وقد جاء في أحاديث كثيرة ما يفيد حصول هذا الثواب لمن مات له واحد واحتسبه، منها: حديث أبي هريرة الذي ذكره الحافظ رحمته الله: «مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ».

ومنها: حديث قُرَّةَ بنِ إِيَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُحِبُّهُ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ «مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِيهِ: «أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ حَاصَّةً أَمْ لِكُلَّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّكُمْ». وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ: «مَا يَسُرُّكَ أَنْ لَا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ عِنْدَهُ يَسْعَى يَفْتَحُ لَكَ؟».

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٍ، يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ».

فهذا باب عظيم من أبواب الجنة لمن صبر عليه، واحتسب الأجر من الله جل وعلا، أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين .

ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه «صَغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ». فهذه الأحاديث ظاهرها أن هذه الفضيلة حاصلة أيضا لمن مات له واحد واحتسبه، والله أعلم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً.

أيها الناس: كما أن هذا باب عظيم من أبواب الجنة، أيضاً هو حجاب
منيع، وحِطَّاءٌ شديد من نار جهنم، لمن احتسب ذلك، جاء في الصحيحين
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا
يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، إِلَّا تَحَلَّةَ الْقَسَمِ».
أي: لا تمسه النار، إِلَّا تَحَلَّةَ الْقَسَمِ، والمراد بالقسم: قول الله تعالى في
سورة مريم: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ والورود: هو المرور على الصراط،
أي: لا يكون في النار، ولا يدخلها، ولا تمسه، إلا ما جاء في المرور على
الصراط تحلّة للقسم الذي أقسم الله به أنه لا بد لكل أحد من ورودها،
أي مروره على الصراط المنصوب على متنها.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فأجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه، نُعلمنا مما علمك الله، قال: «اجتمعن يوم كذا وكذا» فاجتمعن، فاتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: «ما منكن من امرأة تُقدم بين يديها، من ولدها ثلاثة، إلا كانوا لها حجاباً من النار» فقالت امرأة: واثنين، واثنين، واثنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «واثنين، واثنين، واثنين». حجاب يحجبه من النار ويكون حائلاً بينه وبينها.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بصبي لها، فقالت: يا نبي الله إنه يشتكي وإني أخاف عليه، فادع الله له، فلقد دفنت ثلاثة، قال: «دفنت ثلاثة؟» قالت: نعم، قال: «لقد احتظرت بحظار شديد من النار». لقد احتظرت أي: امتنعت، واحتميت وأتقيت بحظار شديد، ومانع وثيق من نار جهنم، فالبلاء باب

من أبواب الجنة، وبابٌ من أبواب الوقاية من النار، وبابٌ لتثقيل الموازين يوم يحتاج العبد لتثقيل الموازين.

وفي مسند أحمد وسنن النسائي عن أبي سلمى، راعي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بَخٍ بَخٍ، مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ». والولد الصالح يُتوفى للمراء المسلم فيحتسبه أي: أن ذلك أمر ثقيل جداً في الميزان، تعجَّبَ النبي عليه الصلاة والسلام من ثقل ذلك في ميزان العبد يوم القيامة، فإذا خفَّ ميزان العبد يوم القيامة ثقله ما ناله في الدنيا من المصائب والابتلاءات، ورفع الله له بذلك الدرجات العاليات، التي لا يصل إليها بكثرة الطاعات والقربات، ويدل على ذلك ما أخرجه أبو يعلى وابن حبان عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَكُونُ

لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ مَا يَنَالُهَا بِعَمَلٍ، فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ، حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا».

فيا أيها المسلم احتسب ما يحصل لك من بلاء، يا من فارق حبيباً أو صديقاً، يا من فارق أباً أو أمّاً أو زوجاً أو زوجة أو ابناً أو اخاً، يا من فارق إنساناً يحبُّه ويصافيه ويتعلق به في هذه الدنيا، اصبر على ذلك، واحتسب الأجر من الله جل وعلا، فإن هذا بابٌ أجرٍ عظيم.

ولا ينافي ذلك الحزن، فليس معناه أن الإنسان لا يحزن، فقد يعرض للإنسان الحزن، وقد يتألم بفراق من يحبه، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام يوم مات ابنه إبراهيم: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ». فقد يطرأ الحزن على العبد، قد يطرأ عليه الألم، ولكن يجب حتى ولو حزن، ولو بكى، يجب عليه أن لا يتسخط ما قضاه الله، هكذا يجب عليه أن يجتنب مخالفة أمر الله، يجب عليه أن يجتنب الصياح والنياح، يجب عليه أن يجتنب ما كان يفعله

الجاهلية من ضرب الحدود، وشقّ الجيوب، ونتف الشعور، والدعاء بدعوى الجاهلية، يجب عليه أن يصبر على ما قدره الله جل وعلا، وهكذا يرضى بما أراد الله جل وعلا ولا يعترض عليه، فإن الله تعالى لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، فليعلم ذلك، وليحتسب أجر ما يصيبه عند الله جل وعلا .

نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيننا على ذكره، وشكره، وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها.

اللهم ارفع عن المسلمين البلاء والوباء، اللهم ارفع عن المسلمين البلاء والوباء، اللهم ارفع عن المسلمين البلاء والوباء.

اللهم ارحم موتى المسلمين، اللهم ارحم موتى المسلمين، اللهم اشفِ مرضاهم يا رب العالمين، اللهم اشفِ مرضاهم يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل لنا من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ومن كل عُسرٍ يسراً، ومن كل بلاءٍ عافيةً.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين، اللهم أذلِّ الكفر والكافرين.

اللهم اغفر لنا، ولآبائنا، وأمهاتنا، ولجميع المسلمين.

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والحمد لله رب العالمين.